

...«وختم بي الرسل»...

اختص الله رسوله محمداً ﷺ من خيرة خلقه ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : «إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم»^(١) .

وفي رواية أخرى رواها أبو هريرة رضي الله عنه : أن الرسول ﷺ قال : «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصرٍ أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة ، فطاف به النظار يتعجبون من حُسن بنيانه ، إلا موضع تلك اللبنة لا يعيرون سواها ، فكنتُ أنا سدوتُ موضع تلك اللبنة ، ختم بي البنيان وختم بي الرسل»^(٢) .

ثم بعد ذلك خصه الله سبحانه بالآيات - المعجزات والخصوصيات - والكرامات مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : «أعطيت خمساً لم يُعطهنَّ أحدٌ قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ ، وأحلَّت لي الغنائم ولم تُحلَّ لأحدٍ قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يُبعثُ إلى قومه خاصة وبعثتُ إلى الناس عامة»^(٣) .

ومثله قوله ﷺ : «إن الله زوى لي الأرض فرأيتُ مشارقتها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها إلى ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يُهلكها بسنة عامة»^(٤) وأن لا يُسلط

(١) صحيح مسلم : ٥٨/٧ ، سنن الترمذي (٣٦٠٩) .

(٢) مسند أحمد : ٢/٢٤٤ .

(٣) سنن ابن ماجه : (٥٦٧) .

(٤) أي : الجذب والقحط .

عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم^(١)، وإن ربي قال: يا محمد،
إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنةٍ
عاميةٍ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع
عليهم منْ بأقطارها^(٢) - أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يُهلك
بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً^(٣).

أجل يا سيدي يا رسول الله!

هذه الخصائص والميزات التي منحك الله إياها، لم يُعطاها أحدٌ من قبلك،
ولن يُعطاها أحدٌ من بعدك، وذلك لأن الله سبحانه اختارك واصطفاك على جميع
خلقه، فصلوات الله عليك في كل وقتٍ وحين:

جميع الورى لم تُحص فضل نبينا ولا جزئه فضلاً عنِ أخصاء كلِّه
فلا البحر يكفي بلّ أصبع قارئ يقَلب بعض الصّحف من كُتُب فضله
ولا البرّ تتريباً إذا رُشّ ذرّة على كل سفرٍ لو هممتَ بنقله

* * *

(١) أي: حماهم وأوطانهم.
(٢) أي: لو اجتمعت عليهم الأمم من أقطار الأرض فلن يستطيعوا هلاك هذه الأمة.
(٣) سنن أبي داود: (٤٢٥٢)، سنن الترمذي: (٢١٧٧).